مقدمــة

إن تكفير أي إنسان أو اتهامه بالفسق والضلال والانحراف أو النفاق يجرده من حقوقه الإنسانية و يعرضه للقتل أوالطرد من المجتمع، وإذا اتخذت عملية التكفير طابعاً جماعياً على غير حق وشملت جماعة أو طائفة فإنها تعرض المجتمع الإسلامي إلى الفرقة والاختلاف، وإذا انهارت الرابطة الدينية فلا مجال أن نستعيض عنها بأي شئ آخر.

وإدراكاً من الإسلام لخطورة عملية التكفير فقد دعى إلى الحفاظ على دم ومال كل من يشهد الشهادتين ويلتزم بأركان الدين وعدم التشكيك فى إسلام من يعلن إسلامه حتى في ساحات القتال وتحت بريق السيوف حيث قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) وعندما حدثت الفتنة الأولى بين المسلمين ونشبت بينهم الحروب رفض علي أن يتهم خصومه بالكفر والنفاق وقال كما نقل ابن كثير في البداية والنهاية إخواننا بغوا علينا ومع ذلك فإن الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً لم تسلم من داء التكفير، وقد تعرض الإمام علي رضي الله عنه نفسه إلى التكفير من الخوارج الذين رفضوا التحكيم بين علي ومعاوية، وشقوا وحدة الأمة المسلمة وأعلنوا الحرب على المسلمين

ومنذ ذلك الحين استمرت ظاهرة التكفير في المجتمعات الإسلامية، وكانت تنتشر وتستعر أحياناً وتتقلص وتخبو أحياناً أخرى، فبينما كانت الحروب الداخلية والظروف الاقتصادية السيئة تؤججها ،كانت أجواء السلام والرخاء تطفئها وتقضي عليها وقد عرفت الحركة الإسلامية الحديثة منذ أواسط القرن الماضي حركات تكفير عديدة بداية من جماعة التكفير والهجرة التي ظهرت في سجون مصر نتيجة التعذيب الشنيع الذي كانوا يتعرضون إليه الذي كان مُبرراً ودافعاً لهم كي يكفروا المجتمع بأكمله وانتهاءاً بالمجموعات التكفيرية التي ظهرت أخيراً والتي كانت تتهم المجتمع الإسلامي بالجاهلية والردة والكفر لأنه يخضع لأنظمة لا تطبق الشريعة الإسلامية وأشياء كثيرة أشدها وقعاً على النفس موضوع التكفير من غير ذى فكر سليم ومعرفة دينية تؤهله إلى الدخول فى هذا الموضوع الخطير أصابتنى بألم شديد، ورغبة عارمة فى وضع هذه الأمور موضع التفنيد، ومعرفة موقفها من الإسلام، وموقف الإسلام منها ومعرفة الحدود التى تحدد الدائرة التى يكون المرء داخلها مسلماً، وأين موضع الخروج من الدين خاصة وأنا مسلم يعرف أن معرفة التعاليم الدينية فرض عين يأثم المهمل لها، ففرض على كل مسلم أن يعرف أمور دينه معرفة صحيحة فلربما أكون مصلياً مزكياً حاجاً، ولكنى لست بمسلم أو مسلم مقصر ذهب به تقصيره وعدم فهمه إلى الخروج من الدين، أو متشدداً ذهب به تشدده ذات المذهب فكلا طرفى القصد ذميم، وربما أكون

مسلماً ولكن يوجد نص فى القلب منه شئ من الشك، ويكون هذا الشك إرتداداً عن الدين وأشياء كثيرة دفعتنى إلى محاولة معرفة حدود الإسلام، وحدود الكفر فلما اشتدت بى الرغبة فى الحصول على معرفة قاطعة عن الحدود التى تفصل بين الكفر والإيمان أخذت معولى، وشمرت عن ساعدى واجتهدت فى البحث فى هذا الموضوع فأسرتنى كتابات الشيخ الجليل أحمد بن تيمية، وكلام الشيخ عز الدين بن عبد السلام وبعض تفسيرات الشيخ الشعراوى، والشيخ محمد الغزالى وكثيرين وقع كلامهم فى نفسى على ذات الموقع الذى كنت أهوى أن يقع عليه ووافق فهمى كلامهم فحمدت الله على ذلك، ولكن من كان له أكبر الأثر عندى هو شيخ الإسلام ابن تيمية لكون كل شئ عارضته، ورفضته وصادف رفضه هوى نفسى، وجدت إعتراضى عليه موافقاً لكتاباته، وحلمى فى إقلاع مدعو التدين عن ما يأخذوا من مظاهر جوفاء، وعن تماوتهم وصعلكتهم وجدت كل ذلك عنده المهم ان كتابات هذا الشيخ الجليل وجدت فيها ما يروى الظمأ، ويطفئ لهيب الشوق إلى معرفة الحد الفاصل بين الإسلام والكفر، وكان دافعى إلى الكتابة فى هذا الموضوع هو محاولة إشعال بصيص من النور يهدينى ويهدى معى من يحاول أن يسير على ذات الطريق، فيعرف حدود الشر الذى إن زلت فيه قدم ولم تتب، خلدت فى الجحيم، وأيضاً لأنى وجدت معظم ما تزخر به المكتبة الإسلامية يتحدث عن الإيمان، وسير المؤمنين، والمعاملات، والعبادات، وعن التوحيد وعن فقه كذا ...

وكذا، فأردت أن أضيف موضوع عن الكفر والتكفير إلى القليلين الذين كتبوا فى هذا الموضوع

وعدوت عدواً إلى صلب الموضوع، وهو الكفر فكان لابد من الحديث عن تاريخ الكفر ومعناه، والفرق بين كفر العام والمعين والفرق بين الكفر بجحد ما علم من الدين بالضرورة والكفر بالشرع والكفر بالعقل ومتى يتم الحكم على إنسان بالكفر، ومن هو الذى يحكم بالكفر وعقاب المسلم المرتد ولا أنسب لنفسى فضلاً فى إخراج هذا العمل إليكم فالفضل كله لله، ثم للعلماء الأجلاء الذين تحملوا عبء البحث وعناء المذاكرة والمجاهدة، وتحملوا تبعة فتاواهم حتى زخرت المكتبة الإسلامية بكل ما يحتاج إليه المرء سواء القارئ العادى أو الباحث الخبير المتخصص، وبعلمهم أناروا لنا الطريق وبجدهم واجتهادهم اتضح لنا ما خفى عنا، جزاهم الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء.

والخلاصة هى أنه لا يستطيع أحد ولا يجرؤ على أن يكفر أحداً من أهل لا إله إلا الله إلا فى ظروف خاصة جدًا أوضحها العلماء محصورة فى عدم الإيمان بالله ورسله والكتاب والنبيين أو إنكار الأمور المعلومة من الدين بالضرورة أو استحلال الأمور المحرمة والمعلوم حرمتها من الدين بالضرورة.

الإسماعيلية فى ١٧ رمضان ١٤٣٢هـ

أسامة عبد الرحمن